العصر العثماني

obeikandl.com

obeikandl.com

هـي إمبراطوريـة إسـلامية أسسـها عثمـان الأول بـن أرطغـرل، واسـتمرت قائمـة لمـا يقـرب مـن ٦٠٠ سـنة، وبالتحديـد منـذ حـوالي سـنة ١٢٩٩م حتـى سنة ١٩٢٣م.

بلغـت الدولـة العثمانيـة ذروة مجـدها وقوتهـا خـلال القـرنين السـادس عشر والسابع عشر، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاثـة: أوروبـا وآسـيا وأفريقيـا، حيـث خضـعت لهـا كامـل آسـيا الصـغرى وأجـزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا، وشمالي أفريقيا.

وصل عدد الولايات العثمانية إلى ٢٩ ولاية، وكان للدولة سيادة اسمية على عدد من الدول والإمارات المجاورة في أوروبا، التي أضحى بعضها يُشكل جزءًا فعليًا مـن الدولـة مـع مـرور الـزمن، بينمـا حصـل بعضـها الآخـر علـى نـوع مـن الاسـتقلال الذاتي.

وأضـحت الدولـة العثمانيـة في عهـد السـلطان سـليمان الأول "القـانوني" (حكم منذ عـام ١٥٢٠م حتى عـام ١٥٦٦م)، قوّة عظمـى مـن النـاحيتين السياسـية والعسكرية، وأصبحت عاصمتها القسطنطينية تلعب دور صلة الوصل بين العـالمين الأوروبي المسيحي والشرقي الإسلامي، وبعد انتهـاء عهـد السلطان سـالف الـذكر الذي يُعتبر عصر الدولة العثمانية الذهبي، أصيبت الدولة بالضعف والتفسخ وأخذت تفقـد ممتلكاتهـا شـيئًا فشيئًا، علـى الـرغم مـن أنهـا عرفـت فـترات مـن الانتعـاش والإصلاح إلا أنها لم تكن كافية لإعادتها إلى وضعها السابق.

انتهت الدولة العثمانية بصفتها السياسية سنة ١٩٢٢م، وأزيلت بوصـفها دولـة قائمـة بحكم القـانون سنة ١٩٢٣م، بعد توقيعها على معاهدة لوزان، وزالـت

نهائيًا في ٢٩ أكتوبر من نفس السنة عند قيام الجمّهورية التركية، التي تعتبر حاليًا الوريث الشرعي للدولة العثمانية.

عُرفت الدولة العثمانية بأسماء مختلفة في اللغة العربية. لعلّ أبرزها هو

- "الدولة العليّة" وهو اختصار لاسمها الرسمي "الدولة العليّة العثمانية".
- كذلك كان يُطلق عليها محليًا في العديد من الدول العربية، وخصوصًا بلاد الشام ومصر، "الدولة العثمليّة"، اشتقاقًا من كلمة "*عثملي* - *Osmanlı*" التركية، التي تعني "عثماني".
- ومن الأسماء الأخرى التي أضيفت للأسماء العربية نقلاً من تلك الأوروبية "الإمبراطورية العثمانية" (بالتركية: *Osmanlı İmparatorluğu*). كذلك يُطلق البعض عليها تسمية "السلطنة العثمانية"، و"دولة آل عثمان".

والعثمانيون من شعب الغز التركي، وأصلهم من بلاد التركستان، نزحوا أمام اكتساح جنكيز خان لدولة خوارزم الإسلامية، بزعامة سليمان الذي غرق أثناء عبوره نهر الفرات سنة ٦٢٨ هـ فتزعم القبيلة ابنه أرطغرل الذي ساعد علاء الدين السلجوقي في حرب البيزنطيين فأقطعه وقبيلته بقعة من الأرض في محاذاة بلاد الروم غربي دولة سلاجقة الروم. وهذه الحادثة حادثة جليلة تدل على ما في أخلاقهم من الشهامة والبطولة.

ويعتبر عثمان بن أرطغرل هو المؤسس الأول للدولة العثمانية.وبه سميت عندما استقل بإمارته سنة ٦٩٩ هـ وأخذت هذه الإمارة على عاتقها حماية العالم الإسلامي،ونيل قيادة الجهاد، وأصبحت المتنفس الوحيد للجهاد ،فجاءها كل راغب فيه...

وفي عام ٩٢٢ هـ انتقلت الخلافة الشرعية لسليم الأول بعد تنازل المتوكل على الله أخر خليفة عباسي في القاهرة...

وبهذه العاطفة الإسلامية المتأججة في نفوسهم ممتزجة بالروح العسكرية المتأصلة في كيانهم، حملوا راية الإسلام، وأقاموا أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ في قرونه المتأخرة... وبقيت الحارس الأمين للعالم الإسلامي أربعة قرون،وأطلقت على دولتهم اسم (بلاد الإسلام) وعلى حاكمها اسم (سلطان) وكان أعز ألقابه إليه (الغازي) أي:المجاهد..واللفظان العثماني والتركي فهما من المصطلحات الحديثة...وحكمت بالعدل بالعمل بالشرع الإسلامي في القرون الثلاثة الأولى لتكوين هذه الدولة...

وكانت غيرتهم على الإسلام شديدة وكثر حماسهم له لقد بدأوا حياتهم الإسلامية بروح طيبة وساعدتهم الحيوية التي لا تنضب إذ أنهم شعب شاب جديد لم تفتنه مباهج الحياة المادية والثراء ولم ينغمس في مفاسد الحضارات المضمحلة التي كانت سائدة في البلاد التي فتحوها ولكنهم استفادوا منها فأخذوا ما أفادهم وكانت عندهم القدرة على التحكم والفتح والانتصار وقد أتقنوا نظام الحكم وخاصة في عصر الفاتح، إذ كانوا يشددون في اختيار من تؤهله صفاته العقلية والحسية ومواهبه الأخرى المناسبة لشغل الوظائف وكان السلطان رأس الحكم ومركزه وقوته الدافعة وأداة توحيده وتسييره وهو الذي يصدر الأوامر المهمة والتي لها صبغة دينية وكان يحرص على كسب رضاء الله وعلى احترام الشرع الإسلامي المطهر فكان العثمانيون يحبون سلاطينهم مخلصين لهم متعلقين بهم فلم يفكروا لمدة سبعة قرون في تحويل السلطة من آل عثمان إلى غيرهم .ولكن الأمور لم تستمر على المنهج نفسه

obeikandi.com

والأسلوب الذي اتبعوه منذ علو شأنهم وبزوغ نجمهم في صفحات التاريخ المضيء فقد بدأ الوهن والضعف يزحف إلى كيانهم.

وتعود أسباب ضعفهم وانهيار دولتهم إلى :

- **الابتعاد عن منهج الله ومخالفة تعاليمه :**

فقد كانت العاطفة الإسلامية جياشة قوية ، في بداية الخلافة العثمانية لذلك كانت القوة وكان الفتح وكان التوسع . فلما ضعفت التربية الإسلامية زادت أعمال السلب والنهب والفسق والفجور واستمر الانحراف وظهرت حركات العصيان وفقدت الدولة هيبتها بسبب انصراف السلاطين إلى ملذاتهم .

- **الحروب الصليبية :**

التي ظلت مستمرة ولم تنقطع منذ ظهور الدولة العثمانية إلى يوم انهيارها ويكفي أن نشير إلى الحملة الفرنسية على مصر والحملة الفرنسية على الجزائر والتوسع الروسي في بلاد قفقاسيا وتهجير سكانها من داغستان وشاشان وشراكس عام ١٢٨٢ هـ . والحملة الإنكليزية على مصر وعدن واستيلاء الطليان على طرابلس الغرب .

أما المناوشات والغزوات العسكرية والحركات الانفصالية فلم يخل عهد سلطان منها .

- **اتساع رقعة الدولة :**

فقد بلغت الدولة قوتها وأوج عظمتها وتوسعها مساحة من الأرض تزيد عن أربعة عشر مليونا من الكيلومترات في وقت لم تتوفر فيه وسائل الاتصال وكانت الدواب والعربات وبريدها يستغرق الشهور الطويلة والسنين . في الوقت الذي كثرت فيه حركات التمرد والعصابات المتكررة مع صعوبة إخمادها.

ولم تحتفظ الدولة بتماسكها على الرغم مما أصابها من زلازل ونكبات طيلة ستة قرون إلا بفضل عامل الدين ورابطة العقيدة

يقول العلامة (عبد الرحمن بن خلدون) والمتوفى في عام ٨٠٨ هـ . في مقدمته العظيمة التي أسماها (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) : إن الدول القديمة المستقرة يفنيها شيئان : أولهما أن تنشأ مطالبة من الأطراف . وهذه الولايات التي تطالب بالاستقلال لا تبدأ بمطالبها إلا إذا تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها .

وأما السبب الثاني لانقضاء الدولة المستقرة فيأتي من دعاة وخوارج في داخل هذه الدولة المستقرة . فيبدوان بالمطالبة أولا بمطالب صغيرة وليست ذات بال . ويكون لهؤلاء الدعاة السلاح النفسي الوهمي والمطاولة في طلب الحقوق التي تبدأ صغيرة ثم تنتهي إلى مقصد هيبة الدولة ونظامها . ولعل أكثر ما يساعد هؤلاء الخارجين على نظام الدولة هو ما يحصل من فتور في همم أتباع هذه الدولة المستقرة وفي لحظة من اللحظات وعندما تتضح هرم الدولة المستقرة وتضمحل عقائد التسليم لها من قبل قومها مع انبعاث همم المطالبين بأشياء وأشياء في داخلها عندئذ تكتب سنة الله في العباد سطرها الأخير في كتاب العلم الإلهي . وهذا السطر يفيد بزوال الدولة المستقرة وفناء عمرها".

وهذا ينطبق على الدولة العثمانية . فقد كان اتساعها وضمها أقاليم عديدة تحت لوائها وحكمها ، مع ضعف وسائل الاتصال . وتعدد القوميات بداخلها مؤذنا بنهايتها وانهيارها .

obeikandi.com

- **ضعف الحياة العلمية والتخلف عن ركب الحضارة :**

أهمل العثمانيون النواحي العلمية فقد جاءوا إلى بلاد الأناضول بدواً ولم يتحضروا بل شغلتهم الحروب ولم ينصرفوا إلى العلم بسبب الانشغال بالفتوحات والحروب المستمرة في كل الجبهات . ولم يسمح لهم الأوروبيون بالالتفات إلى العلم ولا إلى التخطيط لذا استمروا في طبيعة البداوة فأبدوا انتصارات وقدموا خدمات .

وقد مكن ذلك التخلف الغرب من التفوق المادي فاخترع الأسلحة الحديثة ووسائل الصناعة وبدأ عصر الآلة والبخار والكهرباء فظهروا على المسلمين بعد أن كانت لهم الغلبة ولم يتورعوا في استخدام ما توصلوا إليه من أسلحه الدمار والخراب ضدهم .

في الوقت الذي شغل فيه العثمانيون بالمعارك والحروب . وأهملوا البحث والتأليف . فتخلفت أرجاء الدولة وكان مدعاة لسقوطها.

- **ضعف الدولة العثمانية في أواخر عهدها :**

جعل الدول الأوروبية تتآمر عليها فأثاروا ضدها الحركات الانفصالية السياسية والدينية . كما استغل دعاة القومية والصهيونية هذا الضعف مما جعلهم يقومون بحركات لتقويض هذه الدولة . وظهور الحركات الانفصالية والتمردات المحلية . كما كان خصوم العثمانيين التقليديين يشعلون الثورات بين الحين والآخر.

- **الإفراط في الامتيازات التي كانت تمنح للأجانب:**

فقد منحت الدولة العثمانية . وهي في أوج عظمتها وسلطانها . امتيازات لدول أجنبية جعلتها شبه شريكة معها في حكم البلاد . ولا أرى سبباً لهذا الاستهتار

إلا الجهل وعدم تقدير الأمور قدرها الحقيقي وتقدير قوة ودهاء الدول التي منحت هذه الامتيازات فقد ظهرت آثارها بعد حين .

فقد أصبحت هذه الامتيازات والاتفاقيات مع مرور الزمن وكأنها حقوق مكتسبة ثم توسعت وشملت بعض السكان المحليين كالإعفاء من الضرائب والاستثناء من سلطة المحاكم الشرعية العثمانية والتقاضي في محاكم خاصة سموها المحاكم المختلطة وقد لعبت دورا كبيرا فيما بعد . ولقد ساعدت الامتيازات على إشعال بؤر الفتن وأربكت الدولة وشغلتها عهوداً طويلة واتخذت ذريعة لتدخل الدول بحجة حماية الرعايا وبالتالي الاحتلال والعدوان .

- **حالة الغرور التي أصابت سلاطين بني عثمان :**

فبعد أن فتح الله لهم الأرض على مصراعيها يلجونها كما يشاءون. أصابهم التعالي والغرور في علاقاتهم ومعاهداتهم مع البلاد المجاورة .

وإن من يقرأ كتاب الملك سليمان القانوني إلى ملك فرنسا لا يجد فيه ما يشبه كتاب ملك إلى ملك أو إمبراطور عظيم إلى ملك صغير أو حتى إلى أمير ، بل يجده وكأنه كتاب سيد إلى مسود .

ومن يطالع صيغ المعاهدات ، في أوج عظمة الدولة ، وما كان يضفى فيها على سلاطين بني عثمان من ألقاب يكادون يشاركون بها الله تعالى في صفاته بينما تكون ألقاب الأباطرة والملوك عادية ، من يطالع صيغ هذه المعاهدات يدرك إلى أي حد بلغ بهؤلاء السلاطين الجهل والغرور.

- **الإنكشارية :**

هو الجيش الذي أنشأه السلطان أورخان باختيار أفراده من أبناء البلاد الأوروبية المفتوحة وتلقينهم مبادئ الدين الإسلامي ووضعهم في تكنات عسكرية

خاصة وتدريبهم على فنونّ الحرب والقتال . ولقد أبلى ذلك الجيش بلاء حسنا في كافة المعارك التي خاضها العثمانيون إبان قوتهم فكانوا يندفعون كالأسود في ساحات القتال وكان لهم الفضل في ترجيح كفة النصر في المركة الحاسمة يوم فتح القسطنطينية وغيرها من المعارك الشهيرة .

وبمرور الزمن بدأ الضعف يتسرب إلى صفوفهم عندما عاشوا بين المدنيين فأصابتهم حالة من الرخاوة ، وتغيرت أخلاقهم ، وكثرت تعدياتهم بصفتهم العسكر المختص بهم السلطان.

وتعلقت أفئدتهم بشهوة السلطة وانغمسوا في الملذات والمحرمات وشق عليهم أن ينفروا في أوقات البرد الشديد ونظروا إلى العطايا السلطانية ومالوا إلى النهب والسلب حين غزو البلاد ، ونسوا الغاية التي وجدوا من أجلها .

وعندما أصدر السلطان مراد الثالث عام ٩٨٢هـ أمره بمنع شرب الخمور هاجوا وماجوا حتى اضطروه لإباحته ضمن شروط لخوفه من نقمتهم .

وأخذ الانكشارية يتطلعون إلى مركز القيادة في الدولة العثمانية مما جعلها في حالة خطيرة من الفوضى فصاروا هم الآمرون والناهون والسلطان ألعوبة بأيديهم فظهر الفساد وضاعت البلاد .

وقد حاول السلطان عثمان إبادتهم بإعداد العدة لحشد جيوش جديدة في ولايات آسيا الصغرى وتدريبها وتنظيمها ولما حاول ذلك خلعوه وقتلوه وأعادوا مصطفى الأول الذي خلعوه عام ١٠٣٢ هـ .

وهم الذين قاموا بقتل السلطان إبراهيم الأول خنقاً حينما حاول التخلص منهم ، وأربكوا الدولة ووضعوها في حالة من الفوضى بقتلهم السلاطين وتولية

أولادهم الصغار السن من بعدهم كالسلطان محمد الرابع . إلى أن تخلص منهم السلطان محمود الثاني عام ١٢٤١ هـ ؛ إذ سلط عليهم المدفعية فدمرتهم وانتهى أمرهم .

- **ميل كثير من القادة والسلاطين إلى الراحة والدعة :**

فقد تعود كثير من السلاطين العثمانيين بعد عهود المجد والقوة أن لا يقودوا الجيوش بأنفسهم وتركوا الأمر لقواد قد يكون بعضهم غير كفء فانهزموا في مواقع كثيرة وتضاءل الحماس والحمية الدينية لغياب السلطان عن مركز قيادة الجيش كما كان يحدث سابقاً . وتسليم الدولة إلى غير الأكفاء من الناس إذ كان طباخ القصر وبستانية وحاطبة والخصي والخادم يصلون إلى رتبة رئاسة الوزارة أو القيادة العامة للجيش . فماذا ينتظر من جاهل أن يفعل ؟ .

- **صراع الأسرة السلطانية على الحكم :**

فقد كثر نساء السلاطين . وكثر أولادهم . مما أدى إلى صراعهم على الحكم فقد وصل به الأمر – أحيانا – إلى قتل الأبناء والأخوان بعضهم بعضا طمعا في تولي السلطة . مما أودى بأرواح الأطفال والأبرياء بلا ذنب وحرمان الأمة من رجال قد يكون منهم أفذاذا وعباقرة . فحل محلهم رجال احتلوا مناصب رفيعة في الدولة وفي قيادة الجيوش من بلاد أوروبا العثمانية تظاهر بعضهم الإسلام و أبطن غيره وعاد بالدمار والهزيمة إلى البلاد .

يضاف إلى ذلك تدخل نساء القصر بالسياسة وشفاعتهن لدى أزواجهن السلاطين برفع الخدم إلى منصب الوزراء أو إيصال المتزلفين إلى مراتب الحل والعقد . كرئاسة الوزارة وقيادة الجيش . وفي كثير من الأحيان لا يكون لهؤلاء الرجال من ميزة يمتازون ألا تجسسهم لحسابهن .

ولذا فقد كان أفراد الأسرة السلطانية يعيشون في خوف مستمر ويتربص بعضهم بالبعض الآخر الدوائر ولا يبالون بأن يشقوا عصا الطاعة في وجه السلطان سواءً أكان أخاً أم أباً أم ابناً .

- **ضعف بعض الوزراء وخيانتهم الأمانة :**

كان كثير من الأجانب المسيحيين يتظاهرون بالإسلام ويدخلون في خدمة السلطان ويرتقون بالدسائس والتجسس حتى يصلون إلى أعلى المراتب ، وقد أبدى السلطان عبد الحميد استغرابه من وفرة الأجانب الذين تقدموا إلى القصر يطلبون عملاً فيه حتى ولو بصفة خصيان وقال : لقد وصلني في أسبوع واحد ثلاث رسائل بلغة رقيقة يطلب أصحابها عملاً في القصر حتى ولو حراساً للحريم ، وكانت الأولى من موسيقي فرنسي والثانية من كيميائي ألماني والثالثة من تاجر سكسوني .

وعلق السلطان على ذلك بقوله : من العجب أن يتخلى هؤلاء عن دينهم وعن رجولتهم في سبيل خدمة الحريم . فهؤلاء وأمثالهم كانوا يصلون إلى رئاسة الوزارة، وكان هذا مما أدى إلى سقوط الدولة .

- **البذخ وتبذير الملوك :**

حتى بلغت نفقات القصور الملكية في بعض الأحيان ثلث واردات الدولة (ويرى بعض الكتاب أن قصور العثمانيين رغم فخامتها إلا أنها كانت أقل من قصور أمراء أوروبا...) .

- **تراكم الديون :**

فقد أقرضت الدول الأوروبية الدولة العثمانية بسبب كثرة النفقات، والبذخ والإسراف ، وأوقعتها في فخ الديون وهو منهج انتهجه الأوروبيون لنصبه ضد الدول

الإسلامية منذ القرن التاسع عشر م .. وتراكمت فائدتها حتى أصبحت أضخم من قيمة القروض ، وصارت عاجزة عن السداد .

سقوط الخلافة وبداية العلمانيين يعد عام ١٩٠٨ م / ١٣٢٦ هـ عامًا حاسما في حياة الدولة العثمانية ؛لأنه عام تهدمت فيه حقيقة الخلافة الإسلامية المتمثلة بالخلافة العثمانية.فقد أصبحوا يسمونها بالرجل المريض.وبدأ يتغير نظامها الإسلامي وجلب النظام الغربي الوضعي .ويرى المؤرخون أن الصهيونية وراء هذا الهدم وذلك لأن السلطان (عبدالحميد)رفض أن يحقق أطماعها في فلسطين وقد وصل يهود الدونمة إلى مناصب عالية في دولة الخلافة.وكان هؤلاء يظهرون الإسلام ويبطنون غير ذلك .

إضافة إلى جمهرة الصحفيين الذين كانوا يغطون تطور الأحداث بقلم مزيف الوقائع.ويظهرون للناس أن عبد الحميد مستبد ظالم .وقد تابعهم للأسف كثير من المؤرخين المسلمين.

بداية إلغاء الخلافة وفصل الدين عن الدولة :

قامت بعض الجمعيات بحركات ضد السلطان عبد الحميد.تحت أسماء مختلفة أهمها حركة تركيا الفتاة.وحركت حزب الاتحاد والترقي... فقد تكونت جمعية سرية في كلية الطب العسكري في استانبول.وعرفت باسم جمعية الاتحاد والترقي...واكتسبت هذه الجمعية السرية كثيرًا من الأنصار.وانضم إليها أعضاء جمعية تركيا الفتاة.واتخذوا من جنيف مركزًا لقيادة الجمعية.وأنشئوا في باريس جريدة تمثل آراء الجمعية أسموها الميزان.

وهذا الحزب : حزب الاتحاد والترقي الذي شمل بعض اليهود في عضويته قد ورط البلاد في حروب ونزاعات وأرغم قادته المسيطرون عليه الدولة على الانخراط في الحرب العالمية الأولى بعد أن قضوا على حكم عبد الحميد الذي أراد تقويم الانحراف ، وتبنوا الأفكار التي فرقت بين أبناء الدولة المسلمين وكانت الماسونية بالطبع من وراء تلك الجمعيات السّرية تحيك الدسائس والمؤامرات وتقيل عثراتها وتدعم قادتها .

كما لا يخفى أخيراً الأزمة الاقتصادية الأوروبية ودورها في القرنين العاشر والحادي عشر والتي نجمت عن تزايد السكان الكبير الحاصل آنذاك .

ومع بداية القرن العشرين انتشرت جمعيات سرية كثيرة،وخاصة في سالونيك،باسم الوطن والحرية، تتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي، لمعارضة الحكومة العثمانية، وتمكنت هذه الجمعيات أخيرًا من الثورة سنة ١٣٢٦ هـ وإسقاط السلطان عبدالحميد ١٣٢٧ هـ/ وبهدم الخلافة انفصلت الدولة وتنظيماتها وأشكالها ومسارها عن الدين لأول مرة في تاريخ الإسلام... فوقف أتاتورك يقول وهو يفتتح جلسة البرلمان التركي عام ١٩٢٣:نحن الآن في القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون) .

قام مصطفى كمال باستثارة روح الجهاد في الأتراك ، ورد اليونانيين على أعقابهم ، في موقعة سقاريا عام ١٩٢١م ، وتراجعت أمامه قوات الحلفاء بدون أن يستعمل أسلحته ، وأخلت أمامه المواقع ولعلها كانت بداية الطعم لإظهار شخصية مصطفى كمال ، وجعلها تطفو على السطح تدريجياً فقد ابتهج العالم

obeikandl.com

الإسلامي وأطلق عليه لقب الغازي الذي كان ينفرد به سلاطين آل عثمان الأول ، ومدحه الشعراء وأشاد به الخطباء .

فقد قرنه الشاعر أحمد شوقي بخالد بن الوليد في أول بيت من قصيدة مشهورة :

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

فكان الناس إذا قارنوا كفاح مصطفى كمال المظفر ، باستسلام الخليفة القابع في الآستانة ، مستكينا لما يجري عليه من ذل ، كبر في نظرهم الأول ، بمقدار ما يهون الثاني . وزاد سخطهم على الخليفة ما تناقلته الصحف بإهداره دم مصطفى كمال واعتباره عاصياً متمرداً .

ولم يكن مصطفى كمال في نظرهم إلا بطلا مكافحا يغامر بنفسه لاستعادة مجد الخلافة ، الذي خيل إليهم أن الخليفة يمرغه في التراب تحت أقدام الجيوش المحتلة.

وفي عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م أعلنت الجمعية الوطنية التركية قيام الجمهورية في تركيا ، وانتخبت مصطفى كمال أول رئيس لها وفصل بذلك بين السلطة والخلافة ، وتظاهر بالاحتفاظ مؤقتا بالخلافة . فاختير عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خليفة ، بدلا من محمد السادس الذي غادر البلاد على بارجة بريطانية إلى مالطة ، ولم يمارس السلطان عبد المجيد أي سلطات للحكم .

وفي عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م قدم مصطفى كمال أعظم هدية للغرب ، وهي إلغاء الخلافة ، التي كانت في اعتبار المسلمين جميعا عقدة الصلة والرابطة الوثيقة بحسبانها قوة خاصة لهم في مواجهة الغزو الغربي ، وإخراج السلطان عبد المجيد من البلاد ، وإعلان دستور جديد لتركيا .

وبهذا سقطت الدولة العثمانية فعليًا بعد أن استمرت ما يقرب من ٦٠٠ سنة. وانهارت معها الخلافة الإسلامية بعد أن استمرت ما يزيد عن ألف سنة.

وقد رثا أمير الشعراء أحمد شوقي الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية بأبيات من الشعر قال فيها:

ضجت عليك مآذن ومنابر
وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة
تبكي عليك بمدمع سحّاح
والشام تسأل والعراق وفارس
أمحا من الأرض الخلافة ماح؟!

وبدأ حكم كمال أتاتورك كرئيس للجمهورية التركية رسميا وبسقوط الخلافة بدأت تركيا تنقل بقوة على يد أتاتورك إلى الإنسلاخ من العالم الإسلامي بإعلان علمانية الدولة ، وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتنية بدلاً من الحروف العربية .

obeikandi.com

التعليم :

أهملت الدولة العثمانية، خلال مراحل تاريخها، تنشيط التعليم المدني إلا في نطاق المدارس التابعة للهيئة الدينية الإسلامية، وقامت إلى جانب هذه المدارس، مدارس بإشراف الطوائف الدينية غير الإسلامية أو البعثات التبشيرية.

ولم يتطور التعليم في الدولة العثمانية إلاّ في بداية عهد السلطان عبد المجيد الأول وباقي السلاطين الذين تلوه، وأبرزهم عبد الحميد الثاني، الذي أنشأ المدارس المتوسطة والعليا والمعاهد الفنية لتخريج الشباب العثماني، وإعداده لتولّي المناصب الحكومية والنهوض بالدولة.. وأنشأ السلطان بدءًا من عام ١٨٧٨م المدرسة السلطانية للشؤون المالية، ومدرسة الحقوق، ومدرسة الفنون الجميلة ومدرسة التجارة، للطلاب القائمين في العاصمة، والوافدين من مختلف الأقاليم العثمانية، حتى غدت مركزًا ثقافيًا ومدرسة الهندسة المدنية، ومدرسة الطب البيطري، ومدرسة الشرطة، ومدرسة الجمارك، كما أنشأ مدرسة طب جديدة في عام ١٨٩٨م.

الفنون والآداب:

اهتمت الطبقة الحاكمة العثمانية بالموسيقى والطرب، وبلغ من درجة اهتمام بعض السلاطين بالموسيقى والغناء أن نظموا بعض المقاطع الموسيقية بأنفسهم ولحنوها، ومن هؤلاء السلطان سليم الثالث .

وكانت الموسيقى العثمانية خليطا بين الموسيقى البيزنطية والعربية والفارسية، وكانت تُنظم وفق وحدات إيقاعية تُسمى "أصول"، ووحدات لحنيّة

تسمى "مقام". استخدم العثمانيون أدوات موسيقية ابتكرت في آسيا الوسطى وأخرى ابتكرها العرب مثل العود والتنبور والقانون الناي، ومن ثم أضافوا إليها بعض الأدوات الأوروبية مثل الكمان البيانو. برز نوعان من الموسيقى في الدولة العثمانية بفعل اتساع رقعة الدولة وبعد الأقاليم عن بعضها البعض: الموسيقى العثمانية التقليدية أو الكلاسيكية، والموسيقى العثمانية الفلكلورية؛ وكان هناك أشكل مميزة من الموسيقى العثمانية أبرزها: موسيقى الإنكشارية، وموسيقى الغجر، وموسيقى الرقص الشرقي، وموسيقى الترك الفلكلورية. وقد اقتبس اليونانيون الشوام المصريون وبعض الشعوب الأخرى بعض أشكال الموسيقى العثمانية ودمجوها في ثقافتهم.

الشعر :

تأثّر الشعر العثماني بنظيره الفارسي بشكل كبير، وبالشعر العربي إلى حد أقل، وكان لهذا الدمج بين اللغتين العربية والفارسية تأثير كبير في نشأة اللغة التركية العثمانية،وقد استمر الشعراء، وبعض السلاطين العثمانيين، ينظمون الشعر بالفارسية والعربية حتى وقت متأخر من القرن التاسع عشر، عندما أخذ الأتراك يلجؤون إلى اللغة التركية في نظم الشعر. كان النثر العثماني عبارة عن سرد لأحداث قديمة وقعت بالفعل، واستمر بصفته هذه حتى القرن التاسع عشر عندما تأثر بالروايات الأوروبية، وخاصةً الفرنسية، وأخذ الكتّاب يبتدعون قصصًا خيالة.

أهمل العثمانيون فن التمثيل في بداية عهدهم، واستعاضوا عنه بعروض الدمى المتحركة، المعروفة باسم "كركوز وعواظ"، وقد انتشرت هذه الظاهرة الثقافية

في معظم البلدان الشرقية الخاضعة للدولة، ولجأ إليها الناس للترفيه عن أنفسهم طيلة العهد العثماني، واستمرت قائمة في بعض الأماكن حتى ظهور دور السينما ثم المذياع والتلفاز.

اللغة:

كانت التركية، اللغة الأم للأتراك، وقد تكلّم بها أغلبية سكان الأناضول وتراقيا، بالإضافة إلى المسلمين البلقانيين عدا الألبان وسكان البوسنة، وبطبيعة الحال انتشرت اللغة التركية بين الأشخاص المثقفين من غير الأتراك وبشكل خاص أولئك الموظفين في الدوائر الحكومية. كذلك كان للغة الفارسية انتشار محدود بين المثقفين العثمانيين.

وتأتي اللغة العربية في المرتبة الثانية، وقد تكلمها سكان المناطق العربية الخاضعة للحكم العثماني، بالإضافة إلى الأتراك وباقي الشعوب المسلمة في الدولة كونها لغة الدين الإسلامي، غير أن من أتقنها وتكلمها بطلاقة كما العرب كان الطبقة المثقفة أيضًا.

كانت اللغة التركية هي اللغة الرسمية للدولة العثمانية، وتختلف اللغة التركية العثمانية عن اللغة التركية الحديثة، من ناحية أنها كانت أكثر تأثرًا باللغتين العربية والفارسية، واقتبست منهما مصطلحات عديدة اختفت اليوم من المعجم التركي.

انتشرت بعض اللغات الأخرى على نطاق ضيّق في الدولة العثمانية ومنها: الكردية، والصربية، واليونانية، والمجرية، والأرمنية، والبلغارية، كذلك كان

لبعض الطوائف لغاتها الطقسية الخاصة، مثل السريانية والقبطية للمسيحيين الشوام والمصريين، والعبرية بالنسبة لليهود.

اقتبس العرب، وبشكل خاص الشوام والمصريون عددا من الكلمات التركية وأصبحت تشكل جزءًا من لغة التواصل اليومية في بلادهم، ومن هذه الكلمات:

- بصمة، وأصلها "باصماق" وتشير إلى وطأة القدم .
- "بويا" أصلها "بوياغ" وتعني الطلاء .
- "جمرك" وتعني الضريبة التي تؤخذ على البضائع .
- "دوغري" أصلها "دوغرو" وتعني المستقيم، وتُستخدم أيضًا للإشارة في السير إلى الأمام .
- "أوضة" أصلها "أودة" وتعني غرفة .
- "برطمان" أي إناء زجاجي، وكلمات أخرى كثيرة.

obeikandl.com